الزخارف الجصية على المحاريب ، نماذج مختارة من بيوت سامراء

م . م غسان علي مصطفى علي السامرائي
جامعة سامراء / كلية الاثار- قسم الاثار الاسلامية

الزخارف الجصية على المحاريب (نماذج مختارة من بيوت سامراء)

م.م. غسان علي مصطفى

ملخص البحث

تعد الزخرفة بالجص من اكثر الزخارف شيوعاً في العمارة الإسلامية. وقد اشتهر بها العراق منذ اقدم العصور فبلاد الرافدين غنية بحجر الكلس الذي يتم الحصول على الجص منه وذلك بحرقه وطحنه، وقد استعمل الجص أولاً كمادة أساسية في البناء ثم بعد ذلك كسيت به جدران الغرف والقاعات فصارت عندهم جدران ملساء ناصعة البياض ثم عمد البناؤون والصناع الى إضفاء طابع زخرفي على تلك الجدران، وان الزخرفة الجصية في قصور و بيوت سامراء لم تأتي من فراغ وانما جاءت لما سبق من تراكمٍ ونضوجٍ للخبرات فقد عُرِفَ اولاً الرسم على الجص بالألوان المائية ثم بعد ذلك الزخرفة المحززة ثم تتلوها الزخرفة بالحفر الغائر المميز بشيء من التجسيم ثم استعملت القوالب في الزخرفة الجصية التي ازدهرت في مدينة سامراء العباسية، وتركت لنا بيوت سامراء عدد المحاريب ذات الاستخدام الوظيفي الديني كمحاريب للصلاة ، واستخدم بعضها لأغراض جمالية لتزيين ازار جدران الدور التي لا توحي بوجود اي غرض ديني ، ونوعت اشاكل زخرفتها منها النباتية والهندسية والكتابية .

Plaster Decoration On The Mihrabs
Selected Samara Houses

Abstract

Plaster decoration is one of the most common decorations in Islamic architecture. It has been known for Iraq since ancient times, Mesopotamia is rich in limestone,

which is obtained from the plaster by burning and grinding, was used as a plaster first as a basic material in the building and then after the walls of rooms and rooms were covered with walls have smooth white bright and then builders and manufacturers to give Decorative character on those walls, And that the decoration plaster in the palaces and houses of Samarra did not come from a vacuum, but came to the previous accumulation and maturity of the experiences was first known drawing on the plaster in water colors and then the embossed decoration and then followed by the decoration of the excavation of the cave with a certain embodiment and then used the templates in the decoration plaster Flourished in the city of Samarra Abbasid, and left us the houses of Samarra number of niches used for religious function as harbors of prayer, and some of them used for aesthetic purposes to decorate the walls of the floor, which does not suggest the existence of any religious purpose, and decorated the decoration of the plant, engineering and writing.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وعلى آله وأصحابه أولي الفضل والوفاء واما بعد:

أقبل الناس في مدينة سامراء على زخرفة وتزيين الدور والقصور إقبالا منقطع النظير ، وكشفت لنا اعمال التنقيب التي قام بها عالم الاثار الالماني البروفسور في عام ١٩١١ وكذلك مديرية الاثار القديمة في عام (١٩٣٦-١٩٣٩م) ، اذ اماطة تلك التنقيبات اللثام عن العديد من من البيوت التي زين ازار جدرانها بالزخارف الجصية ، ومن تلك الزخارف ما كان يزين المحاريب

التي كانت موجودة في مصليات بيوت سامراء في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ،.

ان من اهم الاسباب التي دعت الى كتابة البحث هي غالباً ما تسلط الاضواء على دراسة المحاريب القائمة في المساجد او المساجد الجامعة من قبل الباحثين والمختصين في مجال الاثار الاسلامية ، ومن هنا استثمرنا الفرصة في فكرة كتابة بحث يقدم دراسة حول عن زخرفة المحاريب ، وكانت اختيار محاريب بيوت سامراء الارضية الخصبة للتعرف على اشكالها ، واساليب الزخرفة التي نفذت عليها ، واغراضها سوآءاً كانت زخرفية ام تزيينية او كلاهما معاً .

من اهم الصعوبات التي واجهتني هي قلة المصادر والمرجع في هذا الخصوص ، وتدخل موضوعاتها الزخرفة ، وان المحرابين اللذان في الصورة رقم (٢،٣) لم تنشر مديرية الاثار القديمة عنهما اي دراسة سوى بعض الصور منشورة في كتاب حفريات سامراء الجزء الاول .

واهم المصادر التي استعملت في البحث كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري ، وكتاب
البلدان ، وتاريخ اليعقوبي ، لليعقوبي ، وكتاب المحاريب العراقية لنجاة التتنجي، وتنقيبات سامراء الجزء الاول لهرتسفيلد ، وكتاب حفريات سامراء لمديرية الاثار العامة .

واشتمل البحث على تمهيد للموضوع ومبحثين تناولت في المبحث الاول انواع الزخارف المنفذة محاريب بيوت سامراء أما المبحث الثاني تطرقت فيه على أشكال المحاريب في بيوت سامراء فضلاً عن المقدمة والاستنتاجات وقائمة المراجع والمصادر.

تمهيد:

يرجع استخدام الجص في البناء في العراق إلى العصور القديمة، وبالتحديد الى عصر الوركاء[١] فقد ظهر في الطبقة الرابعة منها حيث استعمل في عمارة الوركاء على شكل كتل اقرب ما تكون الى شكل الطابوق المستطيل[٢] .

إلا أن أقدم الزخارف الجصية التي كشفت عنها معاول المنقبين في العراق وجدت في قصور ترتقي الى القرن الاول أو بداية القرن الثاني للميلاد ، وذلك في مدينة آشور[٣] ، فضلاً عن الزخارف الجصية المكتشفة في بمدينة الوركاء[٤] ، وقوام الزخارف في الموقعين نقوش هندسية ونباتية بسيطة[٥].

استمر استخدام نظام الزخارف الجصية في العراق إلى ما بعد الفتوحات الإسلامية فكشفت الحفائر الاثرية التي جرت في اوائل الستينات من القرن العشرين عن قصر إسلامي في الشعبية[٦]، أن القصر الذي تزينهُ زخارف جصية ترتقي الى العصر الاموي ، إذ إنها تشبه الزخارف الجصية المكتشفة في عدد من القصور الاموية الأخرى، وكشفت الحفائر الاثرية أيضاً عن مبان أمويه تزينها زخارف جصية تعود الى أواخر العصر الاموي أو بداية العصر العباسي يغلب عليها تفريعات نباتية بأوراق وعناقيد عنب وكيزان صنوبر وغير ذلك من العناصر النباتية، وكشفت حفائر أثرية أخرى في موقع اسكاف بن جنيد [٧] ، عن بقايا مسجد جامع وقصر ، يرجع تاريخهما الى نهاية القرن الثالث للهجرة ، فقد زين بهو الاستقبال والايوان بزخارف جصية متطورة تعتمد على الموضوعات النباتية التي تحصرها أو تؤطرها أشرطة ذات زخارف هندسية بسيطة[٨]

المبحث الأول/ زخارف سامراء الجصية

شهدت مدينة سامراء منذ بداية بنائها سنة (٢٢١هـ/ ٨٣٥م) [٩] نهضة عمرانية كبيرة امتدت على الجانب الشرقي لنهر دجلة، ثم اتسعت أطرافها شمالاً وجنوباً ، وشملت بعض الجانب الغربي ، وصارت تضاهي بغداد من حيث العمران والتقدم ومما ساعد التقدم العمراني السريع هو الرخاء الاقتصادي الذي عم العالم الإسلامي في ظل الخلافة العباسية خلال عصرها الأول، والذي بلغ اعظم مداه في الحقبة الزمنية التي شيدت فيها سامراء[١٠].

شاعت بعض العناصر الفنية التي نفذت داخل قصور المدينة ومنشآتها، فتعددت أشكالها، وكان الاستعانة بطاقم من الفنانين المختصين ضمن أولويات الخليفة المعتصم بالله لإقامة مشروعه في بناء مدينة متكاملة تكتسب مقومات عاصمة لأكبر دولة شهدتها تلك المرحلة[١١]، فأشارت بعض المصادر التراثية بأن الخليفة أمر باستقدام الكفاءات بذلك المجال، فأشار اليعقوبي إلى أن الخليفة المعتصم بالله ((كتب في إشخاص الفَعَلَة، والبنّائين، وأهل المِهَن من الحدّادين، والنجّارين، وسائر الصناعات، ... وحَمْل عَمَلَة الرُخام وفَرْش الرُخام، فأُقِيمَتْ باللاذقيَّة[١٢] وغيرها دُور صناعة الرُخام))[١٣]، ثم يستطرد قائلاً: ((وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخَزَف والحُصُر، وحمل من الكوفة من يعمل الأدْهان، ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة))[١٤]، وأكد المسعودي ذلك بقوله: ((وأُحْضِر له (للمعتصم) الفَعَلَة والصُنّاع وأهل المِهَن من سائر الأمصار))[١٥].

ومن خلال ذلك فأن الأمر يدعو للتأكيد على أن مدرسة سامراء الفنية قد أصبحت ملتقى للاتجاهات الفنية التي كانت سائدة في المنطقة قبل بناء المدينة ولا سيما المدرستين البيزنطية والفارسية، وبرزت من خلال تلاقي تلك

المدرستين أنواعاً مختلفة من العناصر الفنية في مدرسة سامراء نقلتها النصوص التاريخية ووصفتها بشكل يعطي انطباعاً على مدى رقي التذوق الفني لدى مجتمع سامراء آنذاك[١٦].

وأكدت تلك الحقيقة ما كشفته التنقيبات الأثرية في أطلال المدينة وقصورها عبر أكثر من قرن ، فكشفت عن واحدة من أهم أساليب التزيين التي استخدمها الفنان السامرائي وأكثرها شيوعاً، ألا وهي الزخارف الجصية، وأظهرت التنقيبات أنواعاً عديدة من الزخارف التي شاعت في تزيين محاريب بيوت سامراء ويمكن تقسيمها حسبما يلي:

اولاً ـ الزخارف النباتية:

استعملت الزخارف النباتية بكثرة وشملت أكثر من عنصر ، وأن افضل العناصر التي حملتها الزخارف النباتية هي المروحة النخيلية [١٧] التي تعود الى الطراز الثالث[١٨] من طرز الزخرفة الجصية في سامراء ، تضم وريدات مزينة بنقاط ودوائر مختلفة وأن الوريدة عنصر زخرفي نباتي عراقي ، وشاع استخدامها بأربعة أو خمسة او سبعة فصوص ، كما ظهرت أوراق وعناقيد العنب[١٩] ممثلة بشكل قريب من الطبيعة من حيث الاغصان المتموجه وورقة العنب بحافاتها المفصصة والمسننة وداخلها عروق رئيسة وعروق فرعية[٢٠] اذ مثلت العنصر الزخرفي الرئيس للطراز الاول لزخارف سامراء الجصية [٢١] .

وأخذت الزخرفة النباتية تبتعد عن الطبيعة في الطراز الثاني واضمحلت فصوص ورقة العنب وتم الاستغناء عن العروق الفرعية والاكتفاء بالعروق الرئيسية للورقة فقط، واستبدلت حبات العنب بنقاط تملأ سطح الورقة، أما الطراز الثالث فظهر بشكل يختلف عن الأول والثاني من حيث طريقة عمل الزخرفة، فأُستخدم الحفر المائل المشطوف واستغنى عن العناصر الزخرفية

بعنصر جديد هو المروحة النخيلية لأنه يحقق السرعة والسهولة في العمل وبُسِّطَت أشكال الزخرفة إلى حد التجريد ، وهذا ما كان دافعاً مهماً لبداية ظهور الزخرفة العربية الاسلامية المسماة بالتوريق العربي (الارابسك)[٢٢] في الفترة اللاحقة لسامراء[٢٣].

ومن محاريب الصلاة في بيوت سامراء التي تضمت زخارف نباتية ، محراب الصلاة في فناء البيت رقم (١١) ، اذ يبلغ ارتفاع الحقل المحراب ١٦١٥سم ، اما عرضه المحراب ١١٢٥ ، واما طر الابواب ٤٨٠سم او ٥٥٠سم [٢٤] .

يلحظ على جانبي عامودي المحراب الصغيرين ، والذي يعلو كل منهما تاج جرسي ، أطار يضم داخله زخرفة نباتية من اغصان أفعوانيه الحركة تحدث اثناء سيرها التواءات حلزونية بوضع عامودي ، وتضم التواءات حلزونية تلك عناقيد عنب ، واوراق صغيرة رمحية، وعلى جانبي الاطارين المذكورين شريط يضم داخله غضن نباتي ذي حركة افعوانية نخرج من اثناءها اوراق صغيرة ملتوية ، ويمتد هذا الغصن بنفس حركته الافعوانية الى الشريط الذي يزين

عقد المحراب المدبب ، اما المنطقة التي على جانبي العقد زينت بغصن نباتي متجه الى الاعلى ينبثق من جانبية مراعم صغيرة متتالية ، وينتهي الغصن بالتواء يتجه نحو الاسفل فتتفرع منه ورقتان الاول ذات فصين حدهما مدبب والاخر ملتوي متجه الى الاعلى ، واما الورقة والثانية ذات فص واحد مدبب متجهه نهو الاسفل ، اما الاطار الذي في اقصى يمين المحراب فيضم في داخله زخرفة نباتية بوضع عامودية ، الجزء الاعلى يشتمل شكل كمثري يضم داخلها ورقة عنب خماسية الفصوص ، حززت داخلها عروق رئيسية

وثانوية ، وعند التقاء كل فصين من فصوص ورقة العنب حفرة صغير غائرة بالجص تعرف بالعين عدده اربعة اعين ، علماً ان ورقة العنب متجهه نحو الاعلى ، ويرتبط الشكل الكمثري من الاسفل بحلقة تربط بينه وبين شكل دائري يضم داخله اربع عناقيد متدلية الى الاسفل ، ويرتبط الشكل الدائري من الاسفل ، بشكل كمثري مماثل للشكل الكمثري السابق الا أن ورق العنب متجهه نحو الاسفل ، اما الاطار الذي اقصى يسار المحراب فيتضمن ما تبقى من زخرفته نجمتان ثمانيتان متصلتان ، النجمة ثمانية التي في الاعلى تشتمل على غصن نباتي تبثق منه عناقيد العنب يشغل كل ضلع من اضلاع النجمة عنقود عنب وينتهي الغصن وسط النجمة بورقة عنب خماسية الفصوص كل فص من فصوصها نصف دائري تقريباً متجهة الى الاعلى ، اما النجمة الثانية فلا تضم داخلها زخارف نباتية ، ويوجد بين النجمتين ورقتان كأسيتان ثلاثيتا الفصوص ، ومن خلال الوصف يتبن لنا ان الزخرفة المنفذة على المحراب المذكور تعود الى الطراز الاول، شكل (١) .

من نماذج المحاريب التي تشتمل زخارف النباتية محراب الصلاة الذي في البيت رقم (١٢) ، والذي يبلغ ارتفاع ما تبقى منه ٩٥٠سم وعرضة مع اطار العقد ٧٧٥سم [٢٥] ، اذ يلحظ في داخل الزخرفة الهندسية التي بين عامودي المحراب زخرفة نباتية متمثلة بمروحة نخيلية مفلوقة اي ان الفص الاوسط منها مفلوق بشكل واضح داخل النجمة السداسية ، وكذلك نجد مروحة نخيلة فلوقة في دخل كل من الاشكال المثلثات والمضلعة ، اما كل من الاطارين اللذين على جانبي المحراب تشتمل زخرفتهما على مراوح نخيلية مركبة ، اي يخرج عنصر نباتي تمثل بغصن ينتهي بورقة جناحية ثلاثية

الفصوص من وسط الفص الاوسط المفلوق ومن خلال ما تبين لنا من وصف للزخرفة النباتية المنفذة على المحراب المذكور انها ترجع الى الطراز الثالث لزخارف سامراء الجصية ، شكل (٢) .

ثانياً ـ الزخارف الهندسية :

عرفت الزخرفة الهندسية في جميع انواع الفنون القديمة قبل الاسلام تقريباً ، غير انها كانت ساذجة لا تتعدى غالباً الخطوط المضفورة المبسوطة والمنكسرة، وبعد ظهور الاسلام حاول الفنان المسلم اخراجها من طور الجمود والتفنن بعناصرها وتطويرها حتى اضحت من اهم المظاهر الزخرفية للفن الاسلامي [٢٦] .

وتتكون الزخارف الهندسية عامة من الخطوط بأنواعها المستقيمة والمائلة والمجدولة والمنكسرة والمتموجة والحلزونية والمتعرجة ومن المربع والمستطيل والمعين والمثلث والدائرة ومن الاشكال السداسية والثمانية والمتعددة الاضلاع والاطباق النجمية[٢٧].

يلحظ في محراب الصلاة التابع للبيت رقم (١٢) ، الذي سبق وصفة في الزخارف النباتية ، وجود زخرفة هندسية بين عامودي المحراب متمثلة بنجمة سداسية الاضلاع تتصل تلك النجمة من الاعلى بمثلث مقلوب راسه في الاسفل وقاعدته الى الاعلى ، وكذلك تتصل النجمة من الاسفل بمثلث مقلوب ايضاً مشابه للمثلث السابق ، ويلحظ وجود اشكال رباعية الاضلاع بين النجمة السداسية والمثلث الذي اسفل النجمة المذكورة والمثلث الذي اعلاها ،اثنان في الاسفل واثنان في الاعلى ، وزيت الاشكال الهندسية المذكورة اشرط من حبات اللؤلؤ او المسبحة ، وعلى كل من جانبي المحراب شريطان طوليان من حبات اللؤلؤ او المسبحة ، شكل (٢) .

اما نموذج محراب الصلاة في بيت رقم (١٢) غرفة ٢٩ ، ارتفاع المتبقي منه ١١٧٠سم ، وعرضه ٩٨٠سم [٢٨] ، ان الزخرفة المحصورة بين عامودي المحراب الحلزونيين الذي يعلو كل منهما تاج جرسي هي زخرفة هندسية متمثلة بأشكال مثلثة في وضع متقابل ومتدابر زينة من داخلها بمراوح نخيلية مفلوقة ، واطرت بأشرطة من حبات اللؤلؤ او المسبحة ، وعلى جانبي عامودي المحراب زخارف نباتية تشتمل اغصان اذت حركه افعوانية تحدث تتنبثق منها اثناء سيرها اوراق نباتية ثلاثية الفصوص واخرى ملتوية ، ويحيط بالمحراب شريط من حبات اللؤلؤ او المسبحة ، الشكل (٣) .

ثالثا ـ الزخارف الكتابية:

عثر على نموذج واحد من المحاريب المزينة بالزخرفة الكتابية وهو محراب الدار رقم (٢) شغلت كامل تجويفه، وهي عبارة عن لوحة مستطيلة الشكل مسطحة حفرت عليها آية من القرآن الكريم مكتوبة على ثمانية أسطر بالخط الكوفي ورؤوس بعض الحروف هي هذا المحراب مثل الآلف واللام كتب الرأس الأول مدبب والرأس الآخر منحني ، وفي نهايته مدبب وبين الرأسيين مفلطحة ونهاية حرفي النون والسين تنتهي بشكل نصف ورقة نخيلية[٢٩]، صور (١) ، شكل (٤) وهذا نصها:

١. **بسم الله الرحمن الرحيم**
٢. **يوم تجد كل نفس**
٣. **ما عملت من خير**
٤. **محضراً وما عملت من**
٥. **سوء تود لو أن**
٦. **بينها وبينه أمداً بعيدا**

٧. ويحذركم الله نفسه

٨. والله رؤوف بالعباد[٣٠]

وتنتهي اللوحة بسطرين كتب عليها بالخط الكوفي مايلي:

١. اقبل على صلاتك

٢. ولا تكن من الغافلين

رابعاً ــ الأعمدة:

زينت جميع المحاريب بزوج من الأعمدة ظهرت على جانبي المحراب واختلفت أشكال الأعمدة، منها عمودي محراب الدار رقم(٢) فظهرت على شكل عمودين حلزونيين ارتفاعهما (٩٨سم) يتوج كلا منهما تاج شبه دائري خال من القاعدة وهو شبيه بالطاسة ارتفاعه (٨ سم)، وفي أسفل العمود قاعدة تشبه التاج[٣١]، صورة (١)

كما ظهرت أعمدة خالية من الزخرفة كما في المحراب الثاني من نفس الدار غرفة ٢٩ ، وهي عبارة عن عمودين بتاج جرسي الشكل، وقاعدة مربعة[٣٢]، ويبد أن المعمار عمد إلى تزيين المحراب بزوج من الأعمدة الجصية المدمجة والتي يعلوها تيجان جرسية الشكل، إلا أنه كان خال من الإطارات الزيينية، وعلى ذلك فقد ظهر هذا المحراب بشكل أبسط مما ظهر عليه محراب الغرفة رقم (٥)[٣٣] ،شكل(٣)

واستخدمت أعمدة نصف اسطوانية في تزيين بعض المحاريب، فظهر محراب متحف سامراء المسطح بعامدين نصف اسطوانيين قائمان على قواعد مربعة يعلوها تاجين جرسين وينحصر بين هذين العمودين زخرفه نباتية ضمت مراوح نخيليه محوره عن الطبيعة ، ويعود هذه الزخرفة ايضاً الى طراز سامراء الثالث (صورة ٣)[٣٤] .

وهناك أسلوب آخر ظهر في عمل أعمدة المحاريب ، إذ عمد المعمار إلى صنع الأعمدة بشكل مسطح يبرز بروزاً قليلاً عن السطح ، فقد ظهر أحد المحاريب بأعمدة حلزونية قليلة البروز عن سطح المحراب، وأطر العمود بشريط ضيق من الجص، وكان يعلوه تاج جرسي الشكل.

وظهرت أعمدة محراب الدار رقم (٣) ضمن هذا النوع وكانت بدنا العمودين مزخرفان بنجيمات غائرة[٣٥].

المبحث الثاني : أشكال المحاريب في بيوت سامراء

كشفت التنقيبات في بيوت سامراء عن عدد من المحاريب قسمت كلاتي:

١ – **المحاريب المجوفة** [٣٦] : عثر على بعض المحاريب المجوفة في سامراء كان أهمها محراب الدار رقم (٢)[٣٧] ، الذي تم الكشف عنه في إحدى غرف الدار، وتقع إلى الشرق من مدخلها وتتجه أضلاع الغرفة نحو الجهات الأربع ، أطلق عليها غرفة رقم (٥) من بين الغرف الأربعين التي كانت تحتويها الدار، وبرز المحراب في جدار الغرفة الجنوبي ، وتم وضع تاريخ هذا المحراب الذي اعتقد فيه المنقبون بأنه يعود إلى ما بين سنة (٢٢١ هـ/ ٨٣٠ م) أي السنة التي ابتدئ فيها ببناء مدينة سامراء وسنة هجرانها في نهاية حكم الخليفة المعتمد على الله سنة (٢٧٩ هـ/ ٨٨٩ م) ، تم نقل المحراب الى دار الآثار العربية في بغداد والذي كان مكانه في (خان مرجان) وكان معروضاً في الغرفة رقم (٦) ثم نقل بعدها إلى المتحف العراقي حيث عرض في القاعة الاسلامية الأولى تحت رقم (٢٢٢٣)[٣٨].

بني المحراب من الجص وشكله العام مستطيل في داخله مستطيل آخر يضم به تجويف المحراب فالمستطيل الخارجي ارتفاعه (١٧٣ سم) وعرضه (١٢٢ سم) والمستطيل الداخلي ارتفاعه (١٤٢سم) وعرضه (٥٨ سم) وفي داخله عقد ارتفاعه (٤٥ سم) وسعة فتحته (٥٢ سم) وارتفاع الأعمدة (٩٨ سم) وعمق المحراب الكلي (٣٠ سم) شكل المحراب بسيط فالتجويف الداخلي احتوى على عقد مدبب خال من الزخرفة يرتكز على عمودين حلزونيين[٣٩]. صورة(١) شكل (٤) .

وعثر في نفس الدار على محراب ثاني في إحدى الغرف داخل الدار، ارتفاعه الكلي (٢٣٤سم) وعرضه (١٣٤سم) ويحف بالمحراب إطار عرضه (٢٣سم) خال من الزخرفة[٤٠] ، وهو عبارة عن محراب مجوف مستطيل الشكل خال من الزخرفة ، بني من مادة الجص، وقد ظهرت حالته بشكل غير حسن نتيجة عوامل التعرية التي أصابت الجزء العلوي منه بأضرار شوهت مظهره العام، إلا أن قسمه السفلي كان بحالة جيدة يمكن تحديد ملامحه بشكل واضح، وظهر هذا المحراب بشكل أبسط مما ظهر عليه محراب الغرفة رقم (٥) ، وعلى ما يبدو فأن المحراب أنشأ في غرفة أعدَّت مسبقاً كمسجد لأهل الدار وضيوفهم[٤١]. صورة (٤)

وعلى ذلك فأن هذا النوع من المحاريب استخدم كعنصر وظيفي لتحديد اتجاه قبلة مساجد الدور في سامراء ولتأدية الصلوات الخمس.

٢- المحاريب المسطحة

تطرقنا الى بعض نماذج لمحاريب المسطحة في معرض الحديث عن الزخارف النباتية والهندسية ، وثمة امثلة اخرى منها محرابان مسطحان المحراب

الاول في دار رقم (٧٠) [٤٢] ، تزين المحراب مذكور عموان ينتهي كل منهما من الاعلى بتاج جرسي ، اضافة الى الزخرفة نباتية المنتشرة على مساحة المحراب والتي تعود الى الطراز الثالث ، صورة (٢)

ومن المحاريب المسطحة ذات الاستعمال تزييني زخرفي ليس فقط محراب تم تأطيره بعمودين من الدار رقم (١)، غرفة رقم (٥٩) [٤٣]، يشتمل على عامودين يعلو كل منهما تاج جرسي تحصر بينهما زخرفة نباتية متمثلة المراوح نخيليه تعود الى الطراز الثالث ذات الحفر المائل المشطوف ، وزين كل من الاطارين اللذين على جانبي المحراب بأوراق نصفية وشريط من حبات اللؤلؤ، صورة (٣) .

وعلى العموم فأن تلك المحاريب كانت بصورة عامة خالية من التجاويف، لذا فأن البعض منها لم يستخدم كعنصر وظيفي ، إنما استخدم كعنصر زخرفي جمالي كجزء من زخرفة غرف الدور، لاسيما وأن البعض منها لم يظهر باتجاه القبلة في بيوت سامراء ، واستعمل المعمار إطارات عامة تؤطر المحراب من الخارج، وظهرت تلك الأطر بأشكال مختلفة، فقد تم تأطير بعض المحاريب بشكل كامل ، في حين ظهرت أطر أخرى على شكل أشرطة جانبية طولية ترتفع إلى أن تصل إلى حافة العليا للمحراب .

الاستنتاجات

بتوفيق من الله تعالى وبعد ختام البحث اصبح من الضروري عرض جملة من الاستنتاجات التي تم احصائها وهي كالتالي:

١. استخدم الجص في زخرفة جدران المباني منذ اقدم العصور في العراق القديم ، واستمر استخدامه بعد الفتح الاسلامية ، ازدهرت الزخرفة الجصية في قصور وبيوت مدينة سامراء بصورة خاصة لتوفر مادة الجص وقلة كلفتها .

٢. تركت لنا بيوت سامراء العديد من المحاريب المسطحة استخدم العديد منها لغرض وظيفي ديني لتحديد اتجاه القبلة ، وبعضها الاخر لغرض الزخرفي او كلها هما .

٣. من النماذج التي درست في المبحث نموذج لمحراب مسطح استخدم لغرض تزييني جمالي فقط لكونه غير متجه نحو القبلة .

٤. اظهرت لنا الدراسة نموذج واحد لمحراب الصلاة المجوف في بيوت سامراء وكانت عليه البسملة واية من القرآن الكريم كتابة كوفية البارز وعبارة تحث على الصلاة .

٥. اغلب الزخارف التي نفذات على المحاريب المسطحة كانت من الطراز الاول والثالث لزخارف سامراء الجصية.

٦. اكثر العناصر النباتية شيوعاً في زخرفة المحاريب المسطحة في بيوت سامراء المراوح النخيلية المفلوقة والمركبة ، واوراق العنب الخماسية الفصوص .

٧. العناصر الهندسية التي استخدمت في زخرفة المحاريب المسطحة في بيوت سامراء الاشكل النجمية الثمانية والسداسية والمثلثات والاشكال المضلعة وحبات اللؤلؤ .

٨. للمحاريب المسطحة إطارات عامة تؤطر المحراب من الخارج، وظهرت تلك الأطر بأشكال مختلفة، فقد تم تأطير بعض المحاريب بشكل كامل ، في حين ظهرت أطر أخرى على شكل أشرطة جانبية طولية ترتفع إلى أن تصل إلى حافة العليا للمحراب .

٩. ظهرت في نماذج المحاريب التي شملتها الدراسة اعمدة ذات ابدان نصف اسطوانية حلزونية أو خالية من الزخرفة تعلوها تيجان اغلبها جرسية الغرض منها جمالي ليس وظيفي .

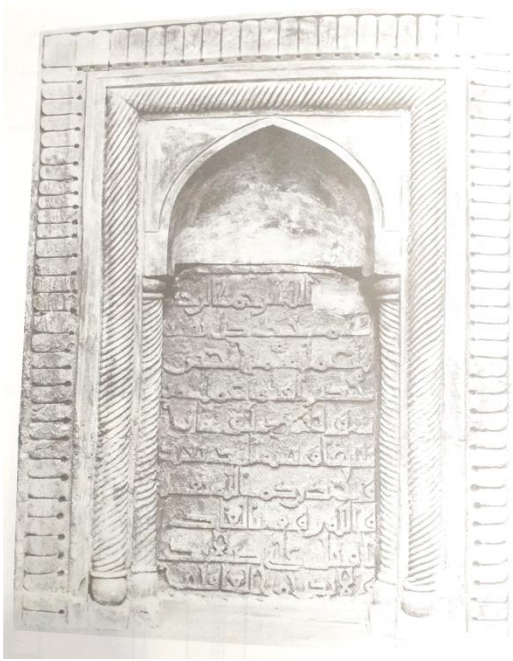

صورة(١)

عن: التتنجي، المحاريب العراقية، صورة (٧)

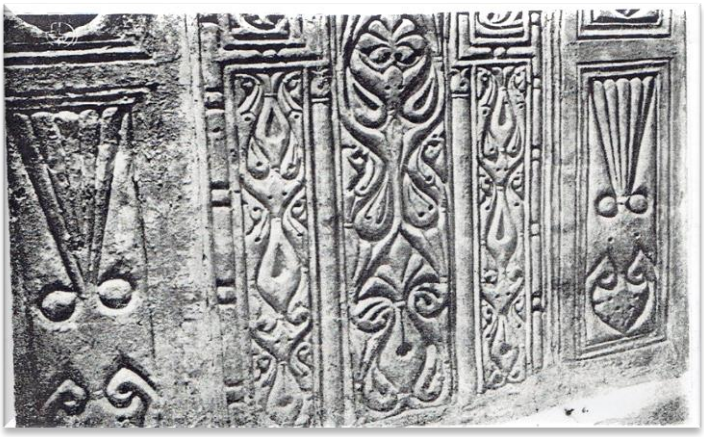

صورة(٢) عن: مديرية الاثار القديمة، ج١، ص٦٩.

صورة(٣) عن: مديرية الاثار القديمة، ج١، ص١١١.

صورة (٤)
عن: التتنجي، المحاريب العراقية، صورة (٨)

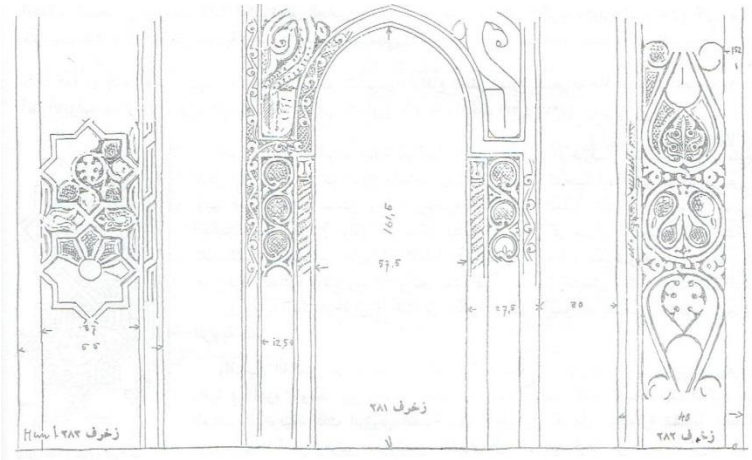

شكل (١)

عن: هرتسفلد ، تنقيبات سامراء، ج١ ، ص٢٤٢

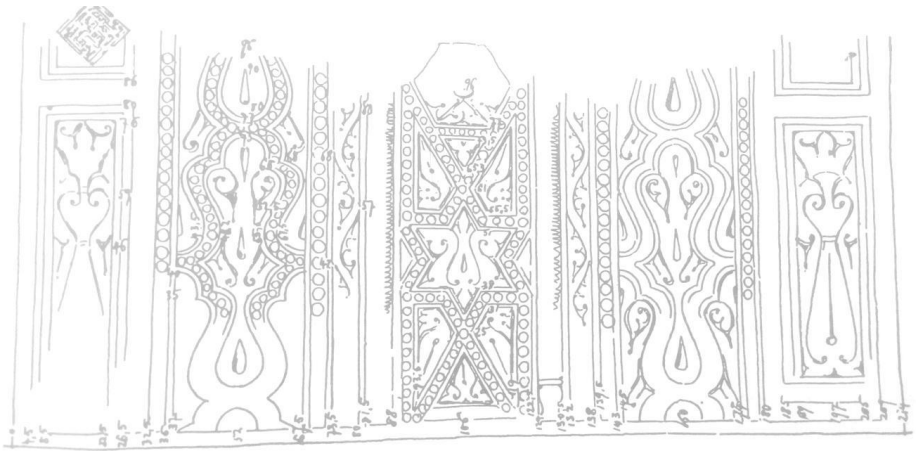

شكل (٢)

عن: هرتسفلد ، تنقيبات سامراء، ج١ ، ص١٢٤

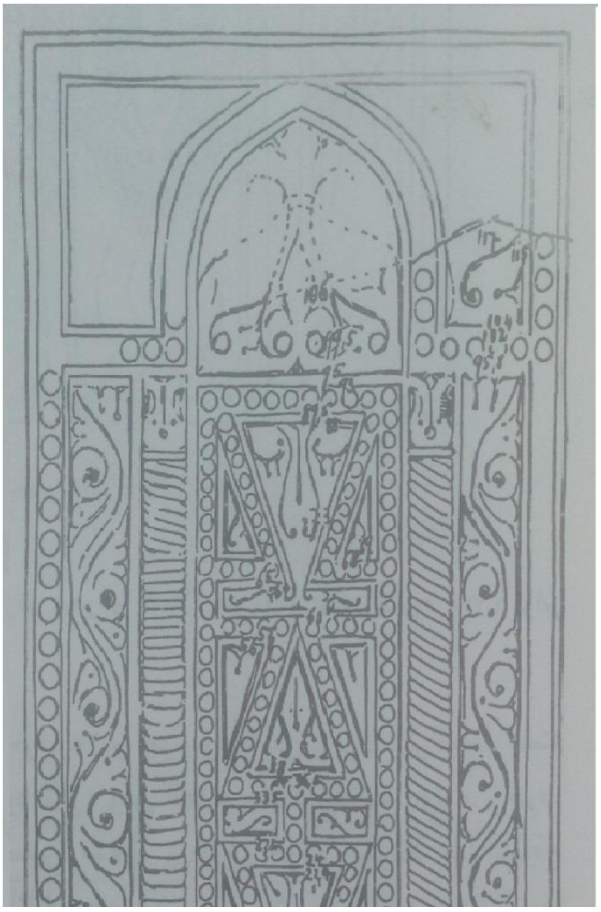

شكل (٣)

عن: هرتسفلد ، تنقيبات سامراء، ج١ ، ص١٢٣

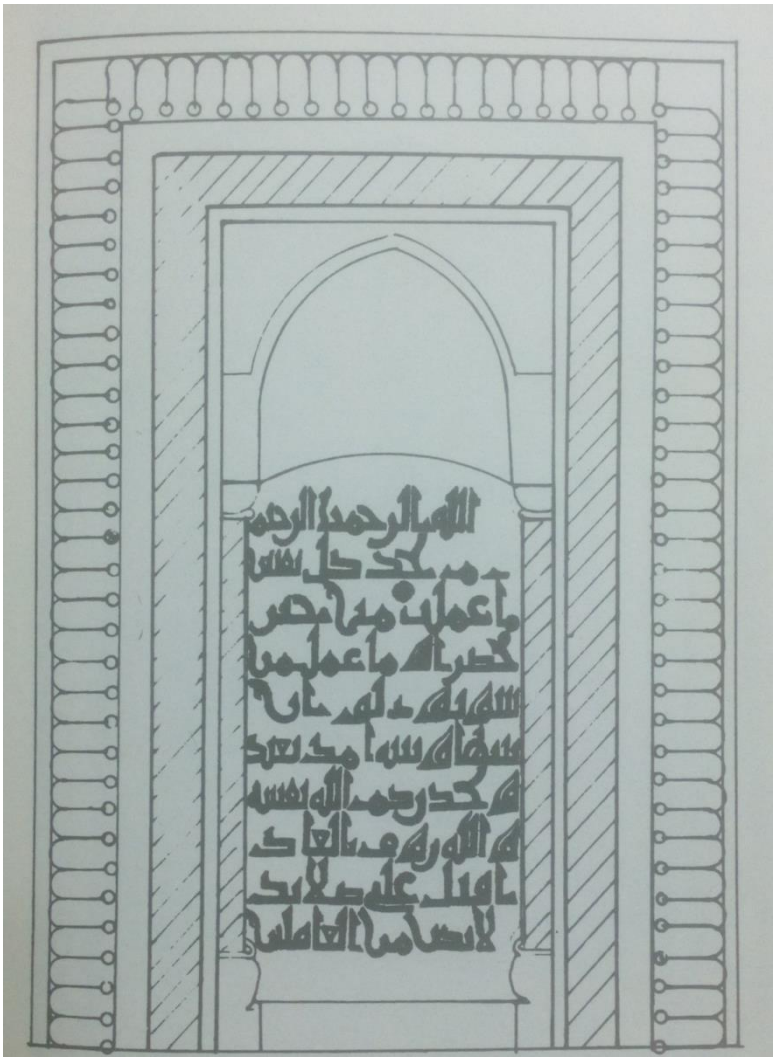

شكل (٤)
عن: التتنجي، المحاريب العراقية، شكل (١١)

مصادر ومراجع البحث

(١) عصر الوركاء: عصر الوركاء (٣٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق.م) : وهو احد ادوار العصر الشبيه بالكتابي أو الشبيه بالتاريخي ويعد من العصور لمهمة في تاريخ بلاد الرافدين حيث كان نظام الحكم مرتبط ارتباط وثيق بالمعبد للمزيد ينظر :

Adams,R.M, and nissen, h.j, The Uruk Countryside The Natural Setting of Urban Societies ,(Chicago and London, 1972),p.38,p.92 .

(٢) الجادر ، وليد ،العمارة حتى عصر فجر السلالات، موسوعة حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥، ج٣ ، ص ٨٤ .

(٣) مدينة آشور : : وهي احد عواصم الامبراطورية الاشورية المهمة ، وتسمى حاليا بقلعة الشرقاط ، تقع جنوب الموصل على بعد١٠٠كم، وشمال بغداد على بعد٣٦٥كم ، كانت ماهولة بالسكان منذ العصر الحجري وحتى القرن الميلادي الاول ، سعيد ، مؤيد ، "المدن الملكية العسكرية " ، المدينة والحياة المدنية ،ج١، بغداد، ١٩٨٨، ص١٢٠ ؛ اندرية ، فالتر ، استحكامات اشور ، ترجمة : عبد الرزاق كامل الحسن ، بغداد ، ١٩٨٧، ص٣٠.

(٤) مدينة الوركاء : تقع قرب السماوة جنوب العراق وهي حدة من اكبر المدن السومرية واقدمها ، اذ يرجع زمن تأسيسها إلى الالف الخامس قبل الميلاد ، بصمة جي ، فرج ، " الوركاء" ،مجلة سومر ، ج١، بغداد ، ١٩٥٥، ص٤٧، ٤٨؛ الياسري ، محمد ، وياسر ، حميد ، وجاسم ، صفاء ، " الوركاء – حضارتها بيئتها– تخطيطها " ، مجلة كلية الآدب ، ع٨٠ ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٧ ،ص١٥٩.

(٥) حميد ، "الزخارف المعمارية " ، حضارة العراق ، بغداد ،١٩٨٥ ،ج٩ ، ص ٣٧١– ٣٧٢.

(٦) قصر الشعيبة: سمي القصر بهذه التسميه نسبة إلى منطقة الشعيبة ، ويقع إلى شمال من قضاء الزبير بنحو ٧كم والى الغرب من مدينة البصرة بنحو ٣٠كم ، مجهول ، داخل ، مجموعة تلول الشعيبة ، مجلة سومر ، مج٢٨ ،١٩٧٢، ص٢٤٣ .

(٧) اسكاف بني جنيد : تعرف خرائبها بـ (سماكا) التي تقع على بعد ٣كم من جنوب الشذروان الاسفل على النهروان بمنطقة ديالى ،ووجدت مدينة اسكاف بني جنيد في القرن الثاني الهجري وامتد تاريخها الى منتصف القرن السادس الهجري ، وقد خربت بخراب النهروان ، سفر ، فؤاد ، التحريات الاثرية في مشاريع الري الكبرى في العراق ، مجلة سومر ، مج١٦، ١٩٦٠، ص١١،١٠.

(٨)سفر ، التحريات الاثرية في مشاريع الري الكبرى في العراق ، مجلة سومر، مج ١٦ ، لوح رقم (٨).

(٩) الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: ٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٧ ،ج٩ ، ص١٧ .

(١٠) ينظر : اليعقوبي : أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ)، البلدان ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠٠١ ، ص٦٥ــ ٦٧ ؛ الشابشتي ، علي بن محمد (ت: ٣٨٨هـ) ، الديارات ، تحقيق : كوركيس عواد، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص٣٦٤.

(١١) الخضر، زكريا هاشم أحمد، خطط سامراء وإشكالية تحديد المواضع بين النصوص التاريخية والدراسات الآثارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سامراء، كلية التربية، ٢٠١٧، ص٤٥.

(١٢) اللاذقية: مدينة عتيقة رومية من مدن بلاد الشام، فيها أبنية قديمة مكينة، وهي بلد حسن في وطئ من الأرض ولها مرفأ جيد محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض، تقع على ساحل بحر الروم، ويجاور اللاذقية جبل اللكّام. ينظر: مجهول (ت، بعد ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م) حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق وترجمة عن الفارسية، السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر (القاهرة، ٢٠٠٢م) ص١٧٦؛ الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي (ت، ٥٦٠هـ/١١٦٤م) نزهة المشتاق

في اختراق الآفاق، عالم الكتب (بيروت، ١٩٨٩م) ج١، ص٣٥٣؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت، ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان، دار صادر (بيروت، ١٩٧٧م) ج٥، ص٥- ٦.

(١٣) أحمد بن إسحق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي (ت، بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) البلدان، تحقيق، دي غويا، بريل (ليدن، ١٨٩٢م) ص٢٥٨.

(١٤) البلدان، ص٢٦٤.

(١٥) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية (بيروت، ٢٠٠٥م) ج٤، ص٥٤.

١٦ الخضر، زكريا هاشم أحمد، العناصر الفنية في مدينة سامراء، من خلال المصادر التراثية، بحث منشور في كتاب دراسات آثاريه ، إشراف، قاسم حسن عباس آل شامان، دار الرسالة، سامراء، ٢٠١٨، ص٢٣٤.

(١٧) المروحة النخيلية : سميت رؤوس النخيل بالأوراق النخيلية او بالمراوح النخيلية اصطلاحاً لعناصر نباتية ظهرت في الفنون العراقية القديمة لأول مرة في التاريخ في العصور الأشورية ، حميد ، الزخارف المعمارية ، حضارة العراق ، ج٩ ،ص٣٨٦ ؛ العبيدي ، ستار جبار أحمد محمد ، المروحة النخيلية ظهورها وتطورها حتى سنة ٦٥٦ هـ -١٢٥٨ م ، رسال ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الاثار ، ٢٠١١، ص ٧.

(١٨) الطراز الثالث : وهو الطراز الذي أمتاز بالشكل التجريدي نتيجة التحوير الشديد الذي اصابها وابعدها عن الطبيعة وتلاصقت العناصر بعد انعدام الارضيات تماماً وأصبحت ذات قطاعات محدبه وجوانب مشطوفه اضفت شيئاً من الظلال والتجسيم ، مرزوق ، محمد عبد العزيز ،العراق مهد الحضارات ، مديرية الثقافة العامة ، بغداد ، ١٩٧٢، ص٢٢؛ حميد ، عبد العزيز ، "الزخارف المعمارية " ، حضارة العراق ، ج٩ ، ص٣٨٦ــ ٣٨٩.

(١٩) حمودي ، خالد خليل ، الزخارف ، مجلة سومر ، م ٣٨ ، ١٩٨٢ ، ج١ – ٢ ، ص ١٧٣ .

(٢٠) السامرائي ، رفاه جاسم ، مدرسة التصوير العربي الاسلامي ، رسالة ماجستير (غير منشوره)، جامعة بغداد ،١٩٨٥ ، ص ٦٣ – ٦٦ .

(٢١) الطراز الاول : وهو الطراز الذي تغلب على عناصره أوراق العنب الخماسية والثلاثية والفصوص ذات العيون التي يفصلها عن بعضها احياناً ، فضلاً عن التعرف النخيلي وعناقيد العنب الثلاثية الفصوص والعناصر الكأسية ذات الثقوب المعينية وكيزان الصنوبر والمراوح النخيليه والزهريات المختلفة داخل تقسيمها هندسية وتغلب المناطق السداسية تؤطرها سلاسل من عناصر حبيبات المسبحة ، امتازت ورقة العنب بشيء التقعر اما عناقيد كانت محدبة ؛ ديماند ، م . س ، الفن الاسلامي ، ترجمة: احمد محمد عيسى ، دار المعارف ، مصر ، دون تاريخ ، ص ٩٣ ؛ حميد ، "الزخارف المعمارية "، حضارة العراق ، ص٣٨٠ ــ ٣٨٥ .

(٢٢) الارابسك : تسمية اطلقها الربيون على الزخرفة لعربية ولاسيما النباتية واقلها الهندسية ، أن هذه التسمية أكثر شمولية مما يقد بها فهي تضم كل الزخارف الإسلامية في العمارة والفن كالرقش العربي والتوريق النباتي وطرز الخطوط العربية والتوشيح دونما تحديد لشكل معين من أشكالها يعتمد على هيكلية دائرية ؛ رزق ، عاصم محمد ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مطبعة مدبولي ، ٢٠٠٠ ، ص ١٢ – ١٣ .

(٢٣) حمودي ، الزخارف ، ج ١ –٢ ، ص ١٧٣ .

(٢٤) هرتسفيلد ، تنقيبات سامراء ، ج١ ، ص٢٤١.

(٢٥) هرتسفيلد ، تنقيبات سامراء ، ج١ ، ص١٢٤.

(٢٦) الجمعة ، احمد قاسم ، الزخرفة الرخامية ، موسوعة الموصل الحضارية ، جامعة الموصل ، ١٩٩٣، ج٣، ص٣٥٠.

(٢٧) رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، ص ١٣٢ .

(٢٨) هرتسفيلد ، تنقيبات سامراء ، ج١ ، ص١٢٣.

(٢٩) التتنجي، المحاريب العراقية ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

(٣٠) سورة ال عمران، الاية ٣٠ .

(٣١) بشير فرنسيس و ناصر النقشبندي، المحاريب العراقية في متحف القصر العباسي في بغداد، سومر، ١٩٥١، ص٢١٣.

٣٢ القاضي، بيوت سامراء، ص١٩٢.

٣٣ القاضي، بيوت سامراء، ص١٠٢.

(٣٤) حفريات سامراء ، الرياده والزخارف ، ج١ ، بغداد ،١٩٧٣-١٩٣٩، ١٩٤٠ ، ص٦٩.

(٣٥) هرتسفيلد، تنقيبات سامراء، ج١، ص٢٣٨.

(٣٦) المحراب المجوف : عنصر عماري عبارة عن تجويفة في جدار القبلة وجد لضرورات متعددة هي تحديد اتجاه القبلة في المسجد وتضخيم صوت الامام وتوفير صفاً كاملاً للمسلمين ، الطبري ،جامع البيان في تاويل القرآن ، تحقيق : محمود شاكر ن القاهرة ، ١٩٥٤، ط ٢، ج٢٣ ، ص١٤١.

(٣٧) كشفت مديرية الاثار العامة في تنقيبات موسم عام ١٩٣٦ على دار تحتوي على أربعين غرفة ، وقد رقمت هذه الدار برقم (٢) تميزاً لها عن باقي الدور التي تم التنقيب فيها خلال الموسم المعني والمواسم اللاحقة، وتقع الدار في مكان يدعى مدق الطبل وهو يبعد بنحو (٥٠٠م) إلى الجنوب الغربي من قصر الخلافة ، ضمن منطقة الخرائب المحصورة ما بين قصر الخلافة وشمال مدينة سامراء الحديثة، وتبعد الدار عن الطريق العام الرابط بين مدينة سامراء وقضاء الدور حوالي (١٠٠م) غرباً، مديرية الاثار العامة، حفريات سامراء، بغداد، ١٩٤٠، ج١، ص٣٩.

(٣٨) بشير فرنسيس و ناصر النقشبندي، المحاريب العراقية في متحف القصر العباسي في بغداد، سومر، ١٩٥١، ص٢١٣.

(٣٩) بشير فرنسيس، المحاريب العراقية، ص٢١٣.

(٤٠) التتنجي، نجاة يونس ، المحاريب العراقية، بغداد، ١٩٧٦، ص٧٥.

(٤١) القاضي، صباح محمود عبد اللطيف، بيوت سامراء في ضوء التنقيبات الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٨، ص١٠٢.

[٤٢] مديرية الاثار القديمة ، حفريات سامراء (١٩٣٦-١٩٣٩)، بغداد ، ١٩٤٠ ، ج١ ، ص٦٩.

[٤٣] مديرية الاثار القديمة ، حفريات سامراء ، ج١، ص١١١.